

الفصل الخامس

عقبات في طريق  
التفكير السليم



قلة قليلة من الناس هم الذين يستدلون استدلالاً سليماً، فيكون تفكيرهم فى حل المشكلات واتخاذ القرارات موضوعياً لا ذاتياً، واقعياً لا خيالياً، منطقياً يخلو من التناقض. فهناك عوائق شتى تحول بين الكثير من الناس وبين الاستدلال السليم، منها ما يرجع إلى قلة المعلومات، ومنها ما يرجع إلى طريقة الاستدلال، على أن أهم هذه العوامل المعوقة هى عوامل انفعالية وعاطفية كما سنرى.

### (1) عدم كفاية المعلومات :

من المعوقات التى تعطل الاستدلال عدم كفاية المعلومات والمقدمات اللازمة لحل المشكلات واتخاذ القرارات، أو أن تكون مقدمات ومعلومات لا صلة بينها وبين الموضوع، مما يربك المفكر ويعوق تفكيره . وربما كان هذا من أهم أسباب سقم الاستدلال عند الشخص العادى الذى لا يملك قدرًا كافيًا من المعلومات الصائبة التى تكفل له التفكير فى أغلب مشكلات الحياة الحديثة، بخاصة المشكلات الاجتماعية. هذا إلى أنه لا يعرف مصادر هذه المعلومات، وحتى إن عرفها فالأغلب أنه لا يستطيع أن يفهمها أو يستوعبها . وإذا كانت وفرة المعلومات شرط ضرورى للاستدلال السليم، فهى شرط غير كاف، لأنها يجب أن تتنظَّم وتُرتَّب كى تجدى فى حل المشكلة<sup>(1)</sup> .

ليس من المتيسر على الإنسان أن يحل مشكلة ما دون أن تكون لديه المفاهيم والمعلومات الضرورية المتعلقة بموضوع المشكلة . فليس من الممكن، مثلاً، حل مشكلة رياضية دون معرفة سابقة بالمبادئ الأساسية التى يتوقف عليها حل المشكلة. فمن الضرورى أن يحيط الإنسان بجميع المعلومات الضرورية المتعلقة بالمشكلة، وأن يحاول النظر إلى المشكلة من جميع الزوايا المختلفة حتى تتضح له المبادئ الرئيسية أو العلاقات الضرورية لحلها.

ومن الممكن أيضاً أن تكون معلوماتنا السابقة الخاطئة حول موضوع المشكلة من العوامل التى تشوب تفكيرنا وتعوقنا عن الوصول إلى حل لها<sup>(2)</sup>.

## (2) غموض المعانى وإبهامها :

غموض المعانى وإبهامها هو من أكبر عوامل سوء الفهم بين الناس، وعقبة كئود فى سبيل حل المشكلات واتخاذ القرارات الشخصية والاجتماعية. فمن موضوعات الجدل الذى لا ينتهى الكلام عن حقوق المواطنين وامتيازاتهم على أساس ما يقال من أن الناس خُلِقوا "متساويين"، ذلك أن كلمة "التساوى" هنا لا تعنى ما تعنيه فى الرياضيات، ولا تعنى أن الناس يولدون متساويين فى القدرات والاستعدادات وسمات الشخصية، بل تعنى وجوب التساوى بينهم فى الحقوق والفرص: حق الحرية وحق التمتع بالحياة، وأن يتكافؤوا فى فرص التعلم والعمل كل على حسب قدراته ومواهبه وإنتاجه، بصرف النظر عن المولد والقرباة والطبقة الاجتماعية.

وبصفة عامة يمكننا أن نقول : إن سوء استخدام اللغة لا يساعد على حل المشكلات بقدر ما يؤدي إلى خلق المزيد من المشكلات. وهذا ما أطلق عليه "فرانسيس بيكون"<sup>(3)</sup> اسم "أوهام السوق". فهو يطلق هذه التسمية على الأخطاء التى تنشأ من استعمال اللغة فى التفاهم ونقل الأفكار. مصدر الكارثة فى هذا النوع من الأخطاء، هو أن الناس، كما يقول "بيكون" بحق: "يعتقدون أن عقولهم تتحكم فى الألفاظ التى يستعملونها ناسيين أن الألفاظ - إلى جانب ذلك - تعود فتتحكم بدورها فى عقولهم، وأن ذلك هو نفسه الذى أصاب الفلسفة والعلوم بالسفسطة والجمود"<sup>(4)</sup>.

إن الأصل فى كل كلمة من كلمات اللغة أن تشير إلى مدلولات جزئية، فإن كانت هنالك كلمة ليس لها مدلول جزئى يشار إليه، فهى لفظة فارغة زائفة،

أشبهت فى أعيننا وأذاننا صورة الألفاظ الحقيقية، فَرَحْنَا نستعملها فى كلامنا ومجادلتنا، استعمالاً يستحيل أن يَؤدى إلى نتائج عملية إيجابية إلا إذا كان ظل الشئ كالشئ نفسه، له مادة ووزن وطعم ورائحة!! والواقع أن الفرق بين اللفظية الحقيقية واللفظة الزائفة، هو أن الأولى وراءها "رصيد" من المسميات الجزئية، وأما الأخرى فليس وراءها شئ يشار بها إليه، فما أقرب الشبه بينهما وبين الورقة النقدية الحقيقية بالقياس إلى الورقة النقدية الزائفة، فهاتان تكونان فى الصورة الظاهرة متساويتين، لكن الأولى حقيقة لأن هناك "رصيداً" من الذهب أو ما يجعل لها "قيمة" فعلية، وأما الورقة الزائفة فليس وراءها مثل ذلك "الرصيد"، ولذا فهى لا تشير إلى شئ وراءها من محفوظات "البنك" مما يجعل له قيمة حقيقية<sup>(5)</sup>.

إن الكلمة لا ينفى عنها الزيف طول استعمالها فى التفاهم بين الناس، فإذا مضينا فى تشبهنا الألفاظ الزائفة بالنقد الزائف، قلنا: إن اللفظة الزائفة التى طال أمد استعمالها بين الناس، حتى ظنوا أن لها معنى، وهى أشبه ما تكون بظرف مقفل ليس بداخله شئ لكنه دار بين الناس مدة طويلة على زعم وهمى، وهو أن فيه ورقة من أوراق النقد، فظلت له هذه القيمة فى التعامل حتى تشكك فى أمره متشكك، وفتحة ليستوثق من أن له قيمته المزعومة، فلم يجد شيئاً، بل وجده فارغاً ولا "قيمة" له<sup>(6)</sup>. فالناس تجتمع وتتفاهم بواسطة الكلام، والأسماء التى أطلقت عليه الأشياء إنما تتناسب مع عقلية العامة. ومن هنا كانت أكثر الكلمات غير دقيقة والعبارات غير سليمة، فتكون اللغة عقبة أمام العقل. وكم من كلمات غامضة، وكم من ألفاظ تُسمَّى أشياء لا وجود لها، ولذا يجب مراعاة الدقة فيما نستخدم من ألفاظ، وفيما نعطى تلك الألفاظ من معانى<sup>(7)</sup>.

### (3) التحيز الانفعالي :

إن ميولنا واعتقاداتنا واتجاهاتنا الفكرية تؤثر إلى درجة كبيرة في تفكيرنا وحلنا للمشكلات. وفي إحدى التجارب قُدِمَ إلى مجموعة من الطلبة الأمريكيين اثنان وسبعون برهاناً قياسيًّا وطُلِبَ منهم أن يبينوا ما إذا كانت النتيجة تعتبر نتيجة منطقية مستخلصة من المقدمتين المستخدمتين في القياس. إن نصف هذه البراهين القياسية كان يتعلق بأمور الحياة العادية التي لا تثير الانفعال. أما النصف الآخر من البراهين فكان يتعلق بأمور مشحونة الانفعال. فبعضها كان يتعلق بالزواج، وبعضها يتعلق باليهود، وبعضها يتعلق بالعرب، وبعضها يتعلق بدور المرأة، وبعضها بشعارات وطنية مختلفة. وقد تبين من نتائج هذه التجربة أن جميع الأشخاص وقعوا في عدد من الأخطاء في البراهين المشبعة بالانفعال أكبر من عدد الأخطاء التي وقعوا فيها في البراهين الأخرى المحايدة من الناحية الانفعالية، مما يدل على أثر الانفعال في التفكير، حيث يؤدي بالتفكير إلى التحيز والوقوع في الخطأ<sup>(8)</sup>.

وغالباً ما يأتي التحيز من نسق القيم الذي يشوه الواقع، فالتمييز العنصري في أغلبه ينطوي على التقليل من شأن الآخر<sup>(9)</sup>. وتوضيحاً لذلك نأخذ المثال الآتي<sup>(10)</sup>:

أورد أحد علماء الجريمة الأمريكيين ممن يؤمنون بالتفرقة العنصرية إحصاءً بعدد الزنوج النزلاء في بعض السجون الأمريكية، ونسبتهم إلى عدد النزلاء البيض، وانتهى إلى القول بأن الملونين أكثر ميلاً إلى ارتكاب الجرائم. مع أنه لو قام بتحليل الظروف الاجتماعية والثقافية والاقتصادية التي يعيشها الملونون في الولايات المتحدة الأمريكية وبخاصة ولايات الجنوب، لما انتهى إلى القول بأن الملون يميل بطبيعته لارتكاب الجريمة. وهو بهذا إنما ربط ربطاً سببياً

بين صفتين ليست بينهما أساساً علاقة سببية، وهما لون البشرة والسلوك الإجرامى، إنما قام بهذا الربط تأييداً لفكرة سابقة فى ذهنه هى التفرقة العنصرية على أساس اللون، وكأنه بهذا يتلمس الأمثلة المؤيدة لفكرته، ويعتبرها شواهد صدق على صحتها. إن فعالية تفكيرنا إنما تتوقف على كوننا موضوعين، وعلى ألا تكون نظرتنا إلى أنفسنا والعالم مشوهة. ذلك لأن التحيز، الذى يتخذ شكل تحمس زائد للرأى الذى يقول به الشخص نفسه أو العقيدة التى يعتنقها، إنما يؤدى بالمرء إلى عدم التفكير فيما يتعصب له، بل يقبله على ما هو عليه فحسب. ومن هنا تتمثل خطورة التحيز من حيث هو عقبة فى وجه التفكير السليم. فالتحيز يلغى التفكير الحر والقدرة على التساؤل والنقد، ويشجع قيم الخضوع والطاعة والاندماج، وهى قيم قد تصلح فى أى مجال عدا مجال الفكر<sup>(11)</sup>.

ويتصف التحيز بصفة أخرى أساسية، وهى أنه ليس موقفاً تختاره بنفسك، بل موقف "تجد نفسك فيه". ولو شاء المرء الدقة لقال: إن التحيز هو الذى يفرض نفسه على الإنسان، وهو أشبه بالجو الخانق الذى لا نملك مع ذلك إلا أن نتنفسه. ولكن لماذا ينتشر التحيز إلى هذا الحد، ولماذا يطل برأسه البغيض، ويذكرنا بطبيعته البشعة بطريقة دامية أحياناً، حتى فى صميم القرن الحادى والعشرين؟ ذلك لأن التحيز يمثل حاجة الإنسان إلى رأى يحتذى به، ويعضى نفسه من التفكير فى ظله. والواقع أن الحماية هنا متبادلة: فالرأى الذى نتعصب له يحمينا، لأنه يؤدى إلى نوع من الهدوء أو الاستقرار النفسى، ويضع حداً لتلك المعركة القلقة التى تنشب فى نفوسنا حين نستخدم عقولنا بطريقة نقدية. ولكننا من جهة أخرى نضمن الحماية لهذا الرأى ذاته عن طريق رفض كل رأى مخالف ومهاجمته بعنف<sup>(12)</sup>.

هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فإن الإنسان يميل بفطرته إلى تصديق ما يحب وإلى إنكار ما يكره واعتباره باطلاً، وحين يكون الواقع مريباً يتخاذل

المنطق. غير أن يعز علينا أن نعترف بأننا كثيراً ما نعتقد ما نريد أن نعتقد، وأن آراءنا تتأثر برغباتنا وعواطفنا إلى حد كبير، بخاصة آراءنا في الناس وفي أنفسنا. زد على ذلك أن قليلاً هم الذين يفكرون قبل أن يعملوا، فالأغلب أننا نسلك أولاً ثم نلجأ بعد ذلك إلى التفكير لتبرير سلوكنا وآرائنا والدفاع عنها، أي أننا لا نبدأ من فرض قابل للصواب والخطأ، بل نبدأ من نتيجة نؤمن مسبقاً بأنها يقينية ولا تقبل الشك أبداً، ثم نشرع بعد ذلك في تبرير هذه النتيجة والدفاع عنها. هذا هو "منطق العاطفة"، إنه منطق تبرير لا تفكير، إنه يستهدف الدفاع لا البرهان. وهذا عكس التفكير المنطقي.

وكثيراً ما نؤول الأمور والوقائع كما نرغب أن تكون عليه. وهذا هو "التفكير بالمني" *Vishful Thinking* الذي توجهه الرغبات لا الوقائع، وهو نقيض "التفكير الواقعي" *Realistic Thinking* الذي ينصب على الوقائع ثم يقصر نشاطه العقلي عليها. و"التفكير بالتمنى" الذي لا يتقيد بالوقائع ولا يحفل بالقيود الاجتماعية والمنطقية والذي يعمينا عن رؤية الحالات السالبة يُنقِص من تمتعنا بالحياة، لأنه يعرضنا دائماً لخيبة الأمل، كما أنه يشوه الأمور في أعيننا، فنراها كما نريد لا كما هي عليه في الواقع. ومن ثمَّ فهو يحول دون حل المشكلات. وتفكير كثير من الناس في الأقدام على الزواج، هو مثال على التفكير بالتمنى<sup>(13)</sup>. فالراغب في الزواج ينظر إلى الحياة الزوجية كما يتمنى أن تكون عليه، فيصورها لنفسه على أنها مفروشة بالورود، وترفرف عليها البهجة والسعادة، ولا تعرف المشاكل طريقاً لها. وإذا ما شكى شخص ما من الزواج ومن المتاعب والصعاب والأشواك والملل الذي يحيط بحياته الزوجية، فإن هذا - في نظر من يفكر بالتمنى - هو مجرد سوء حظ يتعلق بذلك الشخص وحده.

#### (4) الخضوع للسلطة :

السلطة هى المصدر الذى لا يُناقش، والذى نخضع له بناءً على إيماننا بأن رأيه هو الكلمة النهائية، وبأن معرفته تسمو على معرفتنا .

والخضوع للسلطة أسلوب مريح فى حل المشكلات، ولكنه أسلوب ينم عن العجز والافتقار إلى الروح الخلاقة. ومن هنا فإن العصور التى كانت السلطة فيها هى المرجع الأخير فى شئون العلم والفكر كانت عصوراً مختلفة خلت من كل إبداع. ومن هنا أيضاً فإن عصور النهضة والتقدم كانت تجد لزاماً عليها أن تحارب السلطة العقلية السائدة بقوة، ممهدة الأرض بذلك للابتكار والتجديد<sup>(14)</sup> .

وأشهر أمثلة السلطة الفكرية والعلمية فى التاريخ الثقافى هى شخصية "أرسطو". فقد ظل الفيلسوف اليونانى الكبير يمثل المصدر الأساسى للمعرفة، فى شتى نواحيها، طوال العصور الوسطى الأوروبية، أى طوال أكثر من ألف وخمسمائة عام. كذلك كانت كثير من قضاياها تؤخذ بلا مناقشة فى العالم الإسلامى، حيث كان يُعد "المعلم الأول"<sup>(15)</sup> .

إن كثيراً من الناس يعتقدون أن الآراء الموروثة عن الأجداد لها قيمة خاصة، وأنها تفوق الآراء التى يقول بها المعاصرون، ويرتكز هذا الرأى على الاعتقاد بأن الحكمة كلها، والمعرفة كلها، تكمن لدى القدماء، ومن هنا فهو مبنى- بطريقة ضمنية - على نظرة إلى التاريخ تفترض أن هذا التاريخ يسير فى طريق التدهور، وأن مراحل الماضى أعلى مستوى من مراحل الحاضرة. ومن المؤكد أن هذه النظرة إلى التاريخ نوعاً من التمجيد الرومانسى أو الخيالى للماضى، وللأجيال التى كانت تعيش فيه، وهى لا شك تقوم على فكرة لا تستند إلى أساس من الواقع<sup>(16)</sup>، وتشكل عقبة فى طريق التفكير السليم .

### (5) التسرع فى الحكم والتعميم :

من أظهر العوائق التى تقف فى وجه التفكير السليم التسرع فى الحكم والتعميم من مقدمات غير كافية، أو ملاحظات عارضة أو غير دقيقة كما هو الحال لدى الطفل والشخص الأملى. فالمفكر الجيد يعلق حكمه حتى يجمع من المعلومات والأدلة ما يأذن له بالقطع والبت. ذلك أن الانطباعات الأولى التى نأخذها عن الناس والأشياء غالباً ما تكون انطباعات مضللة. والمفكر الجيد لا يعم من حالة واحدة دون النظر إلى الحالات السلبية الكثيرة التى تحول دون التعميم المشروع .

نحن كثيراً ما نقع فى خطأ الحكم على شخصية فرد من مجرد تصرف واحد صدر منه، أو خبر واحد سمعناه عنه، أو مرة واحدة قابلناه فيها. كذلك الحال عندما نزور بلداً أجنبياً زيارة عارضة فنحكم على أهله جميعاً بأنهم بخلاء أو لصوص أو ملحدون من مجرد حادثة واحدة اتفق لنا أن خبرناها. وقل مثل ذلك فى كثير مما يعتقد سواد الناس، إذ يظنون أن التلميذ الفاشل فى المدرسة يكون ناجحاً فى الحياة، أو إن أقوياء الجسم ضعاف العقول، وإذا رأينا الشذوذ بادياً فى سلوك بعض العباقره فهذا لا يعنى أن كل العباقره سواذ.

ومما يُذكر فى هذا الصدد أن كثيراً من الخرافات والأباطيل ما هى إلا تعميمات سريعة خاطئة من حالات فردية عارضة كالزعم بأن الكنس ليلاً يجلب الشر، أو أن السفر يوم الاثنين يجلب الخير، أو أن المرأة الوحى يولد طفلها وعلى جسمه آثار مما وحمته. أما التفكير السليم فلا يعمم من مشاهدات عَرَضية غير قابلة للتكرار، بل من مشاهدات متكررة على عدد كاف من الأفراد لا أثر للتحيز فى انتقائهم<sup>(17)</sup>.

## (6) الثبات الوظيفى :

لكثير من الأشياء استخدامات معروفة، غير أن من الممكن أيضاً استخدامها بطرق أخرى جديدة لأداء وظائف جديدة غير مألوفة من قبل. فالمطرقة، مثلاً، تُستخدم عادةً لطرق المسامير، غير أنه من الممكن أن تُستخدم أيضاً كسلاح فى بعض الحالات. وتُستخدم السكين للقطع، ولكن من الممكن أن تُستخدم أيضاً كمفك للبراغي. وفى بعض التجارب كُلف بعض الأفراد بأداء بعض المهمات باستخدام بعض الأدوات بالطرق المألوفة لاستخدامها، كما كُلف بعض الأفراد الآخرين بأداء بعض المهمات باستخدام هذه الأدوات ذاتها بطرق جديدة غير مألوفة. وبينت هذه التجارب أنه حينما استخدم الأفراد الأدوات بطرقها المألوفة أولاً وجدوا صعوبة فى استخدامها بطرق جديدة غير مألوفة. أما الأفراد الذين قدمت لهم هذه الأدوات فى المواقف الجديدة دون استخدامها أولاً بطرق استخدامها المألوفة فلم يجدوا صعوبة فى اكتشاف الطرق الجديدة لاستخدامها. ويطلق علماء النفس على الجمود فى استخدام الأدوات بطرقها القيمة المألوفة، وصعوبة اكتشاف طرق جديدة لاستخدامها اسم "الثبات الوظيفى" Functional Fixendess ويمكن النظر إلى الثبات الوظيفى على أنه نوع من التهيؤ العقلى الذى يؤدى إلى جمود التفكير وإعاقته عن اكتشاف وظائف جديدة للأشياء تساعد على حل المشكلة فى موقف جديد (18).

وعلى ذلك فمما يعوق التفكير السديد تمسك المرء بفرض أو فكرة والتشبث بها دون غيرها مهما ظهر عدم جودها دون محاولة لتجربة غيرها من الأفكار والفروض، فقد يظل الشخص كأنه أبرة جرامفون قد علق على أسطوانة مخدوشة وتوقفت عن السير مما يعطل سماع الأغنية، هذا الجمود فى التفكير يحول دون النظر إلى المشكلة من زوايا مختلفة، أى يحول دونها حلها. وقد يرجع هذا الجمود إلى عوامل انفعالية. فقد وُجدَ أن هناك تناسباً عكسياً

بين المرونة فى التفكير وبين القلق وعدم الطمأنينة. وقد يرجع أيضاً إلى نقص فى الذكاء. فمن علامات الذكاء مرونة السلوك أى قدرة الفرد على تغيير سلوكه عندما تقتضى الظروف الموضوعية ذلك. لقد ظل أحد الأشخاص فى تجربة عملية لحل لغز ميكانيكى ، ظل عشر ساعات فى محاولة واحدة لم يتركها إلى غيرها، ولما طلب إليه المدرب فى نهاية هذه المدة أن ينتقل إلى محاولة أخرى، لم يستمع إليه بل ظل ساعة ونصف ساعة أخرى دائباً على محاولته الفاشلة.

وعلى العكس من الجمود فى التفكير نجد التعجل وسرعة الانتقال من فكرة إلى أخرى، أو من فرض إلى آخر قبل فحص الفرض الأول فحصاً كافياً للتحقق من صحته أو بطلانه. فالمفكر الجيد هو من يثابر على اختيار الفروض فلا يتخاذل أو يسارع إلى التسليم إلا بجهد يبذله.

### (7) التعليل الخرافى :

إن التعليل الخرافى هو، فى واقع الأمر، عقبة كبرى فى طريق التفكير السديد، ولكى نميز بين إنسان يفكر بطريقة علمية وآخر يعتمد فى تفكيره على الخرافات لابد لنا من أن نحدد ما نقصده بالخرافة. إن الخرافة هى اعتقاد الاجتماعى خاطئ، فيما يتصل بأسباب الأحداث وتفسير الظواهر، كالاتقاد بأن القط له سبعة أرواح، وأن نعيق الغراب نذير شؤم، وأن وضع المقص تحت الرأس يمنع الكابوس. فالخرافة تعتمد على رابطة عَرَضِيَّة بين شيئين، فإذا زارنا شخص ما نعتقد أنه من النوع "الحسود"، ثم حدثت لنا مصيبة أثناء أو بعد زيارته لنا، فإننا غالباً ما نربط بين زيارته لنا وما أصابنا من كوارث، ونتوهم - خطأً - أن الرابطة بينهما رابطة دائمة وضرورية على الرغم من أنه لا صلة بين هاتين الظاهرتين، قد يكون اقتران وقوعهما حدث - بمحض المصادفة - مرة أو مرتين أو أكثر، ولكن هذا لا يعنى أن نربط بينهما ربطاً دائماً. ولتوضيح معنى الرابطة العَرَضِيَّة نأخذ المثال الآتى:-

لنفترض أنك هممت بتشغيل جهاز التلفزيون فى منزلك فسمعت، بمجرد ضغط إصبعك على مفتاح التشغيل، صوت انفجار شديد ارتجت له جنبات المنزل، ولنفترض أن هناك معسكراً أقيم حديثاً على مقربة من منزلك يقوم أفراده بإجراء تجارب على أنواع معينة من المتفجرات، وأنت لا تعلم شيئاً عن هذا المعسكر، ولا تعرف أصلاً أنه موجود، ولكن يتصادف فى كل مرة تحاول فيها تشغيل جهاز التلفزيون، إنه بمجرد أن يضغط إصبعك مفتاح التشغيل، تسمع صوت انفجار شديد ترتج له جنبات المنزل، ولنفترض أن هذا تكرر حدوثه أكثر من مرة على فترات متقاربة أو متباعدة، مما لا شك فيه أنه سوف تأتى عليك لحظة ترتجف فيها رعباً من مجرد التفكير فى تشغيل جهاز التلفزيون، لأنك سوف تعتقد اعتقاداً راسخاً أن شغط إصبعك على مفتاح تشغيل الجهاز هو سبب أو علة حدوث الانفجار، ومهما حاول المرء إقناعك بأن العلاقة بين تشغيل جهاز التلفزيون وسماع صوت الانفجار هى علاقة عَرَضِيَّة - أى نشأت عن طريق الصدفة البحتة - فإنك لن تقبل هذا الرأى، وستظل متشبثاً باعتقادك أن هناك علاقة ضرورية ودائمة بين تشغيل جهاز التلفزيون وسماع صوت الانفجار، رغم خطأ هذا الاعتقاد وابتعاده عن الحقيقة والواقع.

هذا المثال يوضح طبيعة الرابطة العَرَضِيَّة التى تستند إليها معظم الخرافات، فالخرافة تستند - كما سبق أن ذكرنا - إلى علاقة وهمية بين شيئين كالتشاؤم مثلاً من رؤية قطة سواء، أو سماع نعيق الغراب عند السفر. فى مثل هذه الحالات يتوهم صاحب المعرفة الخرافية أن هناك رابطة دائمة بين نعيق الغراب أو رؤية القط الأسود وبين حدوث المصائب والكوارث. مع أنها فى حقيقة الأمر رابطة عَرَضِيَّة قد تكون حدثت مرة أو مرتين فظن أنها رابطة دائمة. هذه ومثيلاتها علاقة وهمية خرافية يحارب العلم التسليم بها، لأنها لا تحتوى على شرط العلاقة السببية الثابتة التى ينزع العلم إلى الكشف عنها. والعلاقة السببية الثابتة تخضع لشرطين:

الشرط الأول : أن يشهد بصدقها الواقع .

الشرط الثانى : أن يكون وقوعها مطرداً بحيث لا يحتمل شذوذاً أو استثناءً .

وتوضيحاً لذلك نقول: إنه إذا حدث أن سمع إنسان نعيق الغراب ولم يلحقه - ولو مرة واحدة - أى أذى، كان ذلك دليلاً مقنعاً فى نظر العلم على خطأ الاعتقاد بأن نعيق الغراب هو سبب نزول الكوارث، حتى ولو ثبت أن كثيرين قد لاحظوا أنه كلما سمعوا هذا النعيق أصابهم الأذى .

ولعل هذا يذكرنا بالمثال الرائع الذى ساقه "فرنسيس بيكون" فى معرض حديثه عن الأوهام التى تمتلئ بها رؤوس البشر، والتى يسميها "أوهام الجنس" ، فى هذا المثال يروى بيكو قصة رجل كان يُنكر أثر النذور فى استرضاء الآلهة، فعُرِضَتْ عليه صور أولئك الذين وفوا نذورهم بعد نجاتهم من خطر الغرق إثر تحطم سفنهم، عُرِضَتْ عليه تلك الصور المتعلقة على جدار معبد، ثم أُحْرِجَ بالسؤال الآتى: ألا تعتقد بعد ذلك فى حكمة الآلهة؟ فسأل بدوره قائلاً: لكن أين عسى أن أجد صور أولئك الذين نذروا النذور لنجاتهم ومع ذلك هلكوا؟!

إن القاعدة العلمية تقول: إن مثلاً واحداً يتعارض مع قاعدة عامة كفىل يهدم القاعدة وتقويضها، ولو شهدت بصوابها مئات الشواهد .

## هوامتنن الفصل الخامس

- 1 - د . أحمد عزت راجح، أصول علم النفس، ص 453 .
  - 2 - د . محمد عثمان نجاتى، علم النفس والحياة، ص 295 .
  - 3 - فرنسيس بيكون Francis Bacon (1561 - 1626) فيلسوف إنجليزى، وهو المبشر بالعلم والمنهج التجريبيى الاستقرائى الجديد، وصاحب الدعوة إلى الملاحظة والتجربة لأجل السيطرة على الطبيعة واستغلال قوانينها لسعادة الإنسان ورخائه .  
4- Bacon, Francis, The Novum Organum, Vol. 4, p. 59.
- نقلًا عن :
- د . زكى نجيب محمود، المنطق الوضعى، الجزء الثانى، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، الطبعة الخامسة، 1980، ص 181 .
  - 5 - د ، زكى نجيب محمود، المنطق الوضعى، ج2، ص ص 182 - 3 .
  - 6 - المرجع السابق، ص 183 .
  - 7 - د . نازلى إسماعيل حسين، الفلسفة الحديثة - رؤية جديدة، مكتبة الحرية الحديثة، القاهرة، 1979، ص 200 .
  - 8 - د . محمد عثمان نجاتى، علم النفس والحياة، ص ص 297 - 8 .
  - 9 - Flew, Antony, Thinking Straight, prometheus Books Buffalo, New York, 1977, p. 32.
  - 10- المثال مأخوذ من كتاب:  
د . عزمى إسلام، مقدمة لفلسفة العلوم (الفيزيائيين والرياضيين)، مكتبة سعيد رأفت، القاهرة 1977، ص ص 22 - 3 .
  - 11- Beardsley, Monroe C., Thinking Straight - Principles of Reasoning for Readers and Writers, prentice - Hall, Inc., Englewood Cliffs, New Jersey, 1975, p. 22.
  - 12 - د . فؤاد زكريا ، التفكير العلمى، منشورات ذات السلاسل، الكويت، 1989، ص 110 .
  - 13- د . أحمد عزت راجح، أصول علم النفس، ص ص 259-60 .
  - 14- د . فؤاد زكريا، التفكير العلمى، ص 87 .
  - 15- المرجع السابق، ص ص 87-8 .
  - 16- المرجع السابق، ص 89 .
  - 17- د . أحمد عزت راجح، أصول علم النفس، ص 357 .
  - 18- د . محمد عثمان نجاتى، علم النفس والحياة، ص 298 .